

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الإخمينية

طاهري خديجة¹

¹ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/12/05 تاريخ القبول: 2020/12/13 تاريخ النشر: 2021/01/01

لقد كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الأكبر في العالم القديم في منطقة الشرق الأدنى من بين جميع الإمبراطوريات، تمتد من مصر إلى آسيا الوسطى ومنطقة السند، تأسست عام 559 أو 550 ق م من قبل ملك صغير شاب من أنزان أو أنشان (فارس جنوب غرب البلاد إيران) يدعى قورش الثاني أو قورش العظيم*، قام بالتوسع على حساب أكبر الممالك القديمة آنذاك على غرار المملكة الليدية، بابل ومصر، حيث ضم هذه المناطق إلى إمبراطوريته الجديدة وبقيت تابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية زهاء المائتين سنة، لم يواجه

*- قورش الثاني (الأكبر): مؤسس الإمبراطورية الإخمينية، وموحد الفرس تحت حكمه (559-522 ق م)، لم يكن قورش قائدا حربيًا ممتازًا فحسب بل كان سياسيًا قديرًا، عرف كيف ينظم مملكته التي كانت في توسع مستمر، حيث اعتمدت حياة الفرس الإخمينيين على السياسة والحرب، أي على القوة والسلطان أكثر منه على المال والاقتصاد، لقب الملك في فترة حكم قورش الثاني بالمحارب، لقد أدى نجاح قورش في عملياته العسكرية إلى ضم العديد من المناطق، فبالإضافة إلى إخضاع مملكة جده من أمه أستياجس، قام بإخضاع ليديا و بابل (مملكة الكلدانيين)، لقد استغرق قورش الثاني 20 سنة فقط لغزو وضم غرب آسيا، والعديد من المناطق في وسطها، وقد تضمنت هذه الفترة الخمس سنوات التي سبقت وفاته (530 ق م)، كانت لقورش سمعة حسنة عند المؤرخين القدامى ولدى الباحثين الحاليين ذلك أنه منح الحرية للبلدان التي احتلها، كما احترم معتقداتهم الدينية، خاصة نحو الفئة اليهودية واليهود في إسرائيل (أورشليم)، عكس الحكام الآشوريين، والبابليين، لقد اتبع قورش نظام سياسي اتسم باللين، إذ طور الفرس في عهده نظامًا عبارة إتحاد من شعوب كثيرة، اتبعه قورش لكي يحكم مملكته الواسعة، هذا النظام الجديد (شعوب نصف مستقلة لها ملوكها أو حكامها وحتى إمكانية احتفاظها بأنظمتها السياسية وديانتها، وثقافتها)، لكنها تبقى تحت حكم السلطة العليا ألا وهي سلطة الملك، وتوفي في إحدى غزواته سنة 530 ق م، أنظر:

Peter Bogucki, *Encyclopedia of Society and Culture in the Ancient World*, vol1, Facts On File publishing, USA, 2008, p 702.

طاهري خديجة

الفرس الإخمينيون** معارضين جادين، فقط تلك الحملة التي قام بها الإسكندر المقدوني على الشرق بين 334 و323 ق م ومن بينها الإمبراطورية الإخمينية والتي تقدم نحوها سنة 333 ق م، حيث أنهى الإسكندر حكم الإخمينيين على آسيا، وحتى ذلك الحين لم تصلنا نماذج عن الإدارة التي كانت سائدة خلال الحكم الفارسي الإخميني، ذلك أن المقولة الشائعة تذكر أن الإسكندر المقدوني قد قام بإحراق جميع السجلات الإدارية كما أحرق العديد من الوثائق الفارسية في أصلها ربما توثق تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وعليه فإن المصادر التاريخية سواء الأدبية أو الأثرية ناقصة من حيث تناول الجانب الاجتماعي وبالأخص التربية والتعليم في عهد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، تلك الحلقة المفقودة من تاريخ الإمبراطورية، فنجاح الإدارة والحكم الفارسي الإخميني هو في حد ذاته مدعاة للتساؤل، فما هي أسس التربية عند الفرس الإخمينيين؟ وهل وجدت لديهم مناهج وطرق للتعليم ومؤسسات تعليمية؟ وما هي العلوم التي كانت تدرس في تلك

** الفرس الإخمينيون: وينتمي هذا الشعب للأمة الهندو-أوربية الذين استقروا في الألف الثاني ق م، وغالبا في أواخره جهات هضبة إيران الغربية، فالتاريخ المبكر للغرب الإيراني (الميديون والفرس) هو في حد ذاته مشكلة شائكة وفقا للفرضيات المطروحة قديما وحديثا، فهذه الأفواج التي تسربت من الآريين أو من الشعوب الهندو-أوربية وغزت إيران، يرجح أنها قد قدمت من الشمال والشمال الشرقي من موطنهم الأصلي، والمرجح أن يكون في المنطقة الواقعة جنوبي روسيا.

فارس: عبارة عن إقليم واسع وجبلي بمساحة تقدر بـ 200,000 كلم²، تقع جنوب غرب إيران، وغرب إقليم فارس خوزستان، تقع شمال أصفهان، شرق كيرمان، فارس المصطلح العربي المشتق من التسمية الفارسية القديمة بارسا، والإغريقية برسيس كانت موطن لأعظم إمبراطوريتين الإخمينية (559-330 ق م)، والساسانية (224-651 م)، تظم آثار العاصمة التاريخية بيرسيبوليس، أما صفة الإخمينيون فهي لتمييز أسرة قورش وورثة عرشه أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب نسبة للملكهم الأسطوري أخيمينيس أنظر: أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، ترجمة: فريد م. داغوفريد ج. أبو

ريحان، ج1، ط2، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1986 م، ص 214، وأيضا:

Glen Warren Bowersok, Peter Brown, & oth, **Late antiquity: A guide to the postclassical world**, Harvard College, USA, 2000, p 447.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

المدارس؟ هذه التساؤلات من الواجب الإجابة عنها لتحديد الهالة التي تغطي تاريخ الحكام الفرس الأخمينيون المحنكين.

الموقع الجغرافي لفارس :

إن بعض المؤرخين الإيرانيين يذكرون أن فارس ما هي إلا جزء من إيران هذا ما أورده هوما كاتوزيان، وأن الفرس جزء واحد من الشعب الإيراني، غير أن وفي بعض الأحيان فإن لمصطلح فارس دلالة جغرافية أوسع من إيران، ذلك أن هذا المصطلح قد ضم أراضي كبيرة من إيران الحالية وخارجها خاصة في الفترة القديمة، في حدود ما يسمى بالإمبراطورية الفارسية¹.

فارس أو إيران يحده من الشمال بحر قزوين، كما أن لها حدودا مشتركة مع العراق، أفغانستان، الخليج العربي وبحر عمان، وتحيط بالهضبة الإيرانية الجبال من كل الجهات كما ذكرنا سابقا، (من الشرق جبال سليمان المتوازية، الغرب جبال كردستان، زاغروس من الشمال إلى الجنوب التي تشكل انحدارا إلى أن تصل إلى بحر عمان شمالا، أيضا جبال البرز والتي تمتد من الجنوب الشرقي حتى رأس الخليج العربي².

التربية والتعليم عند الفرس الأخمينيين:

1- تربية النشء عند الفرس الأخمينيون:

لم يكن للفرس تاريخ حقيقي إلا بعد مجيء قورش الثاني مؤسس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، لا يعرف الكثير عن نمط تربية وتعليم النشء عند الفرس الأخمينيين.

¹ - هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2014، ص 15.

² - جميلة عبد الكريم محمد، قوريناينة والفرس الأخمينيون، منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة العربية، لبنان، 1996، ص 25.

طاهري خديجة

لقد توسع الإهتمام التاريخي في العقود الأخيرة بشكل كبير ومن جديد فيما يخص تاريخ الفرس الإخمينيين ليشمل مضمار الحياة اليومية لسكان الإمبراطورية، حيث يترتب على المرء أن يكون في هذا الموضوع على بينة من أن العالم أصغر من أن يشارك تجارب البشر في محيطهم الضيق، محيط حياة الناس يوما بعد يوم من العالم الأكبر، عالم السياسة الكبيرة، والبنى العامة الإجتماعية والإقتصادية والعدلية، ولا نستطيع فهمها إلا بمواجهة خلفيتها، والآن تعد الحياة اليومية لرعايا الإمبراطورية الفارسية الإخمينية كما يتصورها المرء محدودة فلا يمكن أن يعتمد على الشهادات التي لا يمكن أن يعتد بها ولا يمكن أن تحيط بشيء سواء إحاطة زمانية أو مكانية إلا على نحو متأرجح، حيث تؤدي النخبة الأرستقراطية في البلاد هذا الدور والذي يبدو ظاهرا للعيان بدرجة كبيرة من الدور الذي يؤديه الرجل العادي أو المرأة العادية، وما نعرفه عن هؤلاء الفئات قد وصلنا من الألواح الطينية التي وجدت في العاصمة التي بناها داريوس الأول***، إلا أنها لا توفر لنا الكم المعلوماتي الكافي لتغطية الحياة اليومية لسكان الإمبراطورية ولا حتى المدة الزمنية الطويلة إذ تتميز بمحدوديتها الزمنيو حيث

*** - داريوس الأول: حكم الإمبراطورية الإخمينية سنة 522 ق م إلى سنة 486 ق م، وبوصوله للحكم بدأت الفترة الإخمينية، ذلك انه ينتهي للبيت الإخميني، بينما قورش المؤسس لم يكن كذلك، حيث امتد غزوه وادي نهر الهندوس إلى شرق تراقيا جنوب شرق أوروبا، نظم وقسم الإمبراطورية إلى 20 مقاطعة أطلق عليها اسم الساتريبات، حسن من نظام البريد السريع الذي، ابتدع في بادئ الأمر أسام الآشوريين، وقد بنى الطريق الملكي من سوزا إلى ليديا في آسيا الصغرى، حيث ابتدع طريقة ذكية في جباية الضرائب، ثم جباية نصف القيمة من الضرائب السابقة، ولقد بنى أغلب القصور الملكية في سوزا والعاصمة بيرسيبوليس، أنظر:

Peter Bogucki, **Encyclopedia of Society and Culture in the Ancient World**, vol1, Facts On File publishing, USA, 2008, pp 400, 401.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

تغطي الفترة ما بين 509 ق م و 458 ق م، وهي المدة الزمنية التي غطت المنطقة الجغرافية التي تسمى بفارس نواة الإمبراطورية وعيلام^{3****}.

يقضي الأولاد الصغار وقتهم مع النساء، أي منذ الولادة وحتى سن الخامسة يقع على عاتق الأم تربية الطفل، وهذا لسبب معين، من بين تلك الأسباب أن والده ليس ملزماً بالتكفل بتربيته مع أمه في تلك الفترة، وذلك لكي لا يرهقه وهذا في حالة وفاته، أي في تلك الفترة التي تحتل وفاة الطفل لن يكون الأب قد ضيع وقته في تنشئته، فإن مات فقد مات بين يدي أمه، وابتداءً من سن الخامسة ووصولاً لسن العشرين أو الخامسة والعشرين، يقوم الفرس بتعليم أولادهم ثلاثة أشياء وهي: ركوب الخيل، وتعلم رمي الرمح والسهم، وقول الحقيقة⁴، ونفس الشيء قاله سترابون، ويضيف أنهم يخصصون معلمين لتعليم الأطفال وهم من فئة الرجل الحكماء، يعلمونهم ويلقنونهم أساطير أجدادهم ونبلأ قومهم، وأساطير تتعلق بآلهتهم عن طريق ترانيم إلهية، يقومون بجمع الأولاد في مكان واحد بعد إيقاضهم على وقع أصوات ضرب من البرونز ببعضها البعض، ومن أجل تعلم كيفية استعمال السلاح وطرق الصيد يقومون بتشكيل

**** - العيلاميون: هم من الشعوب الإيرانية، ينحدرون من الجنوب الغربي لإيران (2900- 539 ق م)، كانت تابعة لكل من الإمبراطورية الأكادية وإمبراطورية أور الثالثة المتأخرة، لكن في سنة 2004 ق م قام كينداتو العيلامي بإزاحة مملكة أور، وفي سنة 1764 ق م احتل حمورابي ملك بابل عيلام، لكن نجح العيلاميون في الثورة ضد ابنه شمشوايلونا سنة 1154 ق م، احتل العيلاميون بابل، لكن سنة 1126 قام الملك نبوخذ نصر الأول باحتلال عيلام مجدداً، سنة 700 ق م وأوائل 600 ق م دعم العيلاميون المتمردين البابليين ضد آشور، وحوالي 646 ق م دمرت آشور عيلام خاصة مدينة سوزا، حيث لاحقها تداعيات الخراب في عهد المملكة العيلامية الجديدة المتأخرة، حيث سقطت على يد قورش الأكبر والذي لقب بملك أنشان الإسم القديم لمدينة لعيلام (تلك المنطقة الموجودة بالقرب من شيراز حالياً)، لتصبح أخيراً من ضمن أملاك بابل أي أصبحت بابلية، أنظر:

Peter Bogucki, op.cit, pp 397,398.

³- Josef Wieschöfer, Ancient Persia from 550 BCE to 650 AD, transl by Azizeh J.B.Tauris Publishers London, 2001, pp 66, 67.

⁴- Herodotus, **Histories**, tran by A.D.Godley, all Volumes, The Loeb Library, Great Britain, 1975, book 1. 136.

طاهري خديجة

مجموعات تتألف من 50 فردا للقيام بسباق على شكل مطاردة، حيث يقود كل مجموعة واحد من أبناء الملك أو أحد أبناء الولاة (الساتراب)، ويأمرهم المعلمون بالسباق بعد وضع علامة للإنطلاق وذلك أمام أعين قادتهم، يقومون بالركض لمسافة 30 أو 40 ستاديا أي ما يعادل بالكيلومترات 5,5 أو 5,75، وبعد نهاية كل سباق كان عليهم أن تقديم الحساب (تمارين رياضية) بعد كل تمرين بدني، يتعلمون كيفية التحدث بصوت عالي، وعلى القدرة على التنفس الجيد، واستخدام رثتهم بشكل صحيح، وتحمل الحرارة والبرودة والمطر، والقدرة على عبور تيارات المياه بدون أن تتبلل دروعهم ولباسهم، كما عليهم تعلم كيفية الإعتناء والرعي بقطعان البقر، والعيش في الطبيعة والبقاء على قيد الحياة، وأن يقتاتوا على الفاكهة البرية مثل الجوز والفسق والكمثري البرية، وبعد ممارسة الرياضة، تتكون وجبتهم من الخبز وكعكة الشعير، الهيل، وحبات من الملح، اللحم المشوي أو المسلوق، وبقي الماء هو مشروبهم بعد كل وجبة، يصطادون بالرمح وهم على ظهور خيولهم، وكذا بالقوس والرمح، وفي وقت متأخر بعد الظهر، يتم تدريبهم على زراعة الأشجار وفي قطع وجمع الجذور، وجرت العادة أن لا يلمس الأولاد لحوم الحيوانات البرية وكان هذا شرط المعلمين كي يعود المتدربون إلى منازلهم، يقوم الملك بتسليم الجوائز لمن فاز في المسابقات التي كانت تجري آنذاك (مسابقة الخماسي) وغيرها من أنواع المسابقات، وهذا في جو احتفالي، حيث يوشح الأطفال بالذهب، فهم يقدسون اللون المشع والناري لهذا المعدن، ولهذا هم لم يلبسوا جثثهم الذهب ولم يحرقوها⁵.

يؤدون خدمتهم العسكرية في الجيش، ويخضعون للأوامر ابتداء من سن العشرين إلى الخمسين سنة سواء خدموا كمشاة أو فرسان، حيث وجب عليهم عدم الإقتراب من الأسواق لأنه لا يحق لهم البيع أو الشراء، تربي الفرس على

⁵- Strabo ,**The Geography of Strabo**, vol 6, Translation By Horace Leonard Jones, The Loeb Classical Library, GB, 1930, book 15.3.18.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

احترام الأعلى شأنًا وخاصة الكبار، فمن عاداتهم أنه عند التقائهم بمن هم أقل شأنًا يقومون بتقبيلهم على الخد، أما من هم أعلى شأنًا فيقبلونهم على الفم.⁶

2- طرق التعليم داخل وخارج الإمبراطورية الفارسية الأخمينية:

يتلمذ الأولاد النبلاء على يد من هم أكبر وأحكم منهم داخل بلاط الملك، يعلمونهم كيف يقدرّون الذات البشرية وكيف يضبطون النفس، وكيفية التدبير الكامل في جميع أمور الحياة، وليس هناك ما هو أساسي يقوم على السمع أو المشاهدة، فالأولاد لهم وراء أعينهم من هم أحكم منهم يقومون بتتبعهم، هؤلاء الحكماء الذين حظيوا بشرف الملك، أو الأشخاص الذين لم يشرفهم الملك، فتلكما الفئتان من الناس هم من يكونون داخل محيط الأولاد، لذا عليهم تعلم الإستماع لكلا الفئتين، يسمعون منهم وهكذا منذ فترة مبكرة من الطفولة، يتعلمون كيفية الحكم والخضوع لحكم غيرهم، وهذا ما ذكر عن قورش مؤسس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية وبهذه الطريقة اكتسب هذا الملك سمعته الطيبة، فكان أكثر تواضعًا من بين زملائه، وأكثر طاعة للشيوخ من هم أدنى مرتبة منه.⁷

فقد وصف الإغريق تعليم قورش الأكبر عن طريق ما كتبه أكسينوفون، على الرغم من أن فترة شبابه يكتنفها الغموض وتحيط بها الأسطورة، لدرجة أنه من غير الواضح إن كانت توجد معلومة عن تلك الفترة تتسم بالواقعية، غير أنهم يتشاركون في العديد من الميزات المهمة: وهي فترة شبابه، السلطة اللينة والطبيعية، الطريقة الملفتة للإهتمام في كيفية تسير شؤون البلاد، وأفضل السبل في إدارة الموارد البشرية للإمبراطورية التي كان يحكمها قورش الثاني، حيث تولى المهام بسهولة، وأتقنها بسرعة، وهذا ما يذكره هيرودوت حول حديثه عن أنه

⁶ - Ibid, 15.3.19.

⁷ - Xenophon, **Anabasis**, vol3, translated by Carleton L. brownson, harvard university press, England, 192, book 1.9.3-6.

طاهري خديجة

كان يحدد مهام الأولاد الذين كانوا يشاركونه اللعب وتنظيمهم على شكل مجموعات وذلك عندما كان في عمره عشر سنوات، إذا برزت حنكته في الحكم منذ الصغر، وكيف تقرب من رجل لآخر ممن هم قريبون من القصر الملكي، لتعلم مختلف جوانب الحياة والمجاملات، ليصبح أقرب للملك، وكانت هذه المهام التعليمية والفضائل والتي يجب أن يتحلى الفارسي بها حرفيا أو مجازا، وذا كله بشرط أن يكون الفرد مستقيم الذات، وهذا ما يخبرنا به نقش داريوس الأول على صخرة بيهستون^{8*****}.

من الواضح أن الهدف من التعليم الفارسي بصرف النظر عن التوجيه الأخلاقي، هو إنشاء جنود فعالين في الميدان، وهو ما يؤكد ما جاء في النقش السابق الذكر، فيقول: "... كقائد أنا قائد جيد، حاليا... تدربت في يدي ورجلي؛ كفارس أنا فارس جيد، سواء على رجلي أو على صهوة الجواد؛ كرامي رمح أما رام جيد، سواء على رجلي أو على صهوة الجواد⁹، هذا ويذكر النقش ان داريوس قد تحصل على الدعم من الإله أهورامازدا والآلهة الأخرى وأنه لم يكن خائفا لأنه لم يكن خائنا ولم يكن ظالما لا هو ولا عائلته، حيث تقيد بالعدل، ولم يظلم لا الضعيف ولا حتى القوي، حيث ذم الكاذبين ووصف الكذب بأنه أبشع شيء على وجه الأرض وهنا ينطبق هذا الوصف على ما تحدث به هيرودوت حول تدريب

***** - بهستون (باختاران، إيران): قرية تقع أسفل جبال زاغروس، في الغرب الإيراني، شمال شرق بغداد تقريبا حوالي 20 ميل (32 كلم)، شرق باختاران (كيرمان شاه قديما)، وهي تمثل أيضا الطريق الملكي القديم من إيران إلى العراق، تحتوي على آثار للملك الفارسي داريوس الأول فيم يعرف بنقش بهستون، الذي يصوره هو ومجموعة من حاشيته، وتقابله مجموعة من الأسرى مكبلين اعتبر هذا تخليدا لنصره على الميديين، و البابليين، وشعوب أخرى حاولت الثورة في عهده، تحت هذا العمل في قاعدة جبل (Bagastan)، جبل الآلهة (Mountain of the Gods)، بدأ العمل به أواخر 521 ق م، وأنهى سنة 519 ق م، للمزيد أنظر:

Trudy Ring, Robert M. Salkin & oth, **Internatinal dictionary of Historic places Middle East and Africa**, vol₄, Fitzroy Dearborn Publishers, USA, 1996, p 120.

⁸- Elspeth R.M. Dusingberre, **Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia**, Cambridge University Press, USA, 2013, pp 245, 246..

⁹- Maria Brosius, **The Persians**, Routledge, USA, 2006, p 60, DB from Naqsh-i Rostam b/DNb * 8 -9.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

الفتية الصغار على قول الحقيقة، وأن من صفات الملك أو الفرد الصالح أن يجنح للخير وليس للشر، وهي سمة من سمات التعليم والفضيلة للملك، وبالفعل يبدو أن تنطبق على الرجال النخبة رجال الإمبراطورية بشكل عام، وكانت أناتوليا الآناضول في تركيا حالياً، من المناطق التي قصدها هيرودوت وأكسينوفون ومن هناك قد دونوا ما رأوه عن التعليم بصفة خاصة وعامة داخل المناطق التابعة للإمبراطورية وقد خصوا التعليم الذي ذكر للنخبة فقط وهنا يجب تناول هذا الموضوع بحذر خاصة في حال التعميم، لقد كانت التربية والتعليم من خلال الملاحظة في فارس شبيهة بتلك الموجودة بالمدينة الإغريقية اسبرطة، وهي الولاية التي حازت على الإعجاب الكبير من قبل أكسينوفون¹⁰.

يذكر أكسينوفون أن القصر الملكي والمباني الحكومية يتواجدان في مكان منفصل عن الساحة التي يتواجد بها التجار والباعة، وهذه الأخيرة منفصلة أيضاً عن الساحة التي يتواجد بها النخبة من جنس الذكور حيث يتجمعون في مناطق مختلفة، جزء مخصص للأولاد، آخر للشباب، وآخر للراشدين، وآخر للكبار، وأخرى للكبار ممن أنهموا الخدمة العسكرية، حيث يقوم الكبار منهم والراشدون بتعليم الأولاد والشبان اليافعين، تسمى هذه الساحة بساحة الحرية وكل من هذه الأجزاء (أي القصر الملكي، المباني الحكومية، والساحة المخصصة لطلبة العلم) تتواجد تقع في هذه الساحة، إذن فصل الأسواق عن هذه الساحة، من شأنه أن يمنع صراخ التجار وضجيج الأسواق من أن يزعج هؤلاء الطلبة، يتطلب القانون ممن يرتادون الساحة بأن يسجلوا حضورهم في الأوقات والمواسم المعينة، والأماكن المخصصة، يجب على الأولاد والشباب اليافعين الحضور وقت الفجر، وهذا كقاعدة عامة فالكبار يختارون وقتهم بأنفسهم، باستثناء الأيام الثابتة، علاوة على ذلك على الشباب أن يناموا ليلاً في المباني العامة وأسلحتهم بجانبهم،

¹⁰ - Elspeth R.M. Dusingberre, op.cit, p 246.

طاهري خديجة

يستثنى منهم الرجال المتزوجون فهم معفيون من المبيت خارج منازلهم إلا في حال تقديمهم إشعاراً لقضاء الليل في الخارج، حتى وإن اعتبر غيابهم غير لائق¹¹.

وضع على كل تقسيم اثنا عشر حاكماً، وهذا العدد نسبة لعدد القبائل الفارسية، يختار الحاكم على الأولاد من فئة الشيوخ الكبار، إذ يعتقد أن من هم أكبر يكونون قدوة لمن هم أصغر منهم، ويتم اختيار من يحكم الشبان اليافعين من فئة الرجال البالغين، وكذا الأمر بالنسبة لكبار السن فهم يتعلمون من تلقاء أنفسهم، يبقى على عاتق هؤلاء الأمل في تعليم تلك الفئات وجعل الأمر يسير بسرعة لتنفيذ المهام المطلوبة، والوفاء بالتعاليم المفروضة من السلطة العليا، يؤدي المعلمون الكبار مهمتهم على أكمل وجه، يتلقى الطلبة تعليماً عالياً بهدف تهذيب المواطن، وحثهم على الذهاب إلى المدرسة وإعطاء الوقت الكافي لتلقي العلوم خاصة في مجال العدالة والقانون، حيث يمضي الطلبة معظم يومهم في تعلم القوانين بدراسة العديد من القضايا التي يطرحها المعلم ليتشاوروا مبدئين الحلول والبت فيها في العديد من الجرائم منها السرقة، العنف، الإحتيال، والعنصرية والجحود... وغيرها من القضايا¹².

3- اللغة والتدوين عند الفرس الإخمينيين:

لقد اعتمد المجتمع الفارسي وخاصة الملوك، سواء في تسجيل يومياتهم أو الأحداث التي تحصل في الإمبراطورية و خارجها، و اعتادوا على تداولها شفهيًا، كل يكتب بلغته، لذا كانت المراسيم قبل قورش تعلن شفهيًا، بحكم ثقافة المجتمع الشفهية (أي تعامل الناس فيما بينهم بطريقة شفوية)¹³.

¹¹- Xenophon, Cyropaedia : The Education Of Cyrus, translated by Henry Graham Dakyns, Published by J.M.DENT & SONS, London, 2008, book1.2.4.

¹²- Xenophon, Cyropaedia, 1.2.5-6

¹³- Vesta Sarkhosh Curtis, Sara Stewart, Birth Of The Persian Empire , I.B.Tauris & Co Ltd, USA, 2005 p 5.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

تكلم سكان إيران عدة لغات قديمة، وما هي إلا لهجات انبثقت عن اللغة الهندو-أوروبية، واللغة الفارسية القديمة إحدى فروعها والتي تنحدر من جنوب غرب إيران، وكانت لغة البلاط الفارسي الأخميني، إحدى اللغات الرسمية داخل الإمبراطورية، ولغة العديد من النقوش الأخمينية الملكية، حيث تكتب من اليسار إلى اليمين، وقد دون الملوك الأخمينيون انتصاراتهم ومجدهم بهذه اللغة على الطريقة المسمارية، كما كتبوا باللغة الآرامية على قبر داريوس الأول¹⁴.

هناك وثيقتين عيلاميتين من العاصمة بيرسيبوليس صيغتا في السنة الثالثة والعشرين من حكم داريوس الأول (499 ق م)، تذكر أن الأولاد الفارسيون هم من يقومون بنسخ النصوص، الوثيقتان عبارة عن سجلات لقضايا متعلقة بكمية من الحبوب لـ تسعة وعشرين فردا، وكمية من الشراب لـ ستة عشر فردا، اعتبر هذا دليلا على تعلم الأولاد الفرس الكتابة والقراءة، وكانت الكتابة هي الكتابة المسمارية الفارسية، والتي كانت معروفة فقط لعدد قليل من الكتبة، لأنها كانت تستخدم بشكل رئيسي وحصري في النقوش الملكية الأخمينية، وفي بعض الأحيان حتى النبلاء وموظفي الخدمة المدنية الفارسية ذوي المكانة العالية كانوا في العادة أميين، فعلى ضوء هذا الطرح يبدو أن الكتابة لم تلعب أي دور في التعليم الفارسي الأخميني العادي، كما استعمل الفرس كتابة دخيلة بلغة غير اللغة الفارسية القديمة وهي اللغة الآرامية¹⁵.

4- الدين أساس التعليم الفارسي القديم:

كانت النخبة تتلمذ على يد عامة المعلمين، وكان هذا إلزاميا لا يشترط أن يكون المعلمون من النخبة أيضا، إذ يجب على الطالب أن يخضع لهذا التعليم

¹⁴ - Roman Ghirshman, **Iran from the earliest times to the Islamic conquest**, Penguin Books, 1978, pp 163, 164.

¹⁵ - Muhammad A. Dandamayev, Education I : In *The Achaemenid Period*, Vol. VIII, December 15, 1997, p 178, Encyclopædia Iranica : <http://www.iranicaonline.org/articles/education-i>

طاهري خديجة

على يد هؤلاء المعلمين، لكي يكون قويا ويصبح العلم أداة للأمان، وذو إنتاجية وفعالية، يهدف إلى تغيير الأوضاع الراهنة، وكانت الأخلاق من بين أسس التعليم الفارسي، وهو ما أتت به تعاليم الدين الزراداشتي، إذ تذكر المصادر الإغريقية أن الدين كان يدرس كمادة تعليمية للفرس الإخمينيين، حيث يحث على الإستقامة والإلتزام بتعاليم هذا الدين، وهو ما توضحه نقوش صخرة بهستون أو نقش داريوس الأول، يبين أن الأمور الصالحة أتت بها الدين والإله أهورامازدا، وأن مبادئه الأخلاقية مستمدة من تعاليم زرادشت، ولم تكن هذه التعاليم مقتصرة على مركز الإمبراطورية الفارسية الإخمينية بل امتدت حتى جزيرة ألانتين وأناتوليا، حيث كانت الإستقامة والأخلاق المستمدة من الدين، أساس تربية وتعليم النخبة الذكور، ومن شأنها أن شكلت أساس الحكم الرشيد الذي ساد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في أوج ازدهارها¹⁶.

عادة ما يكون المعلم ينتمي لطبقة الكهنة والذين يسمون في التقاليد الفارسية القديمة بالمجوس (magus)، يتكفل المجوس أو الكهنة بمسألة التضحية للإله وبالطقوس الدينية المكرسة لجميع الآلهة الفارسية القديمة، كما كانوا المسؤولين عن المعابد المتواجدة في الإمبراطورية الإخمينية، بالإضافة إلى وظائفهم الدينية كانت لهم مهام في التعليم، ووظائف إدارية كما لعبوا دورا في تنصيب الملك، وكذا تفسير الأحلام داخل البلاط الملكي، حيث تم اعتبارهم أيضا من أكبر دعاة للتقاليد السياسية والدينية في تاريخ فارس القديمة¹⁷.

الكهنة أو المغوس:

ماغى (magi) جمع للكلمة اللاتينية ماغوس (magus)، والكلمة الإغريقية ماغوس أيضا (magos)، والتي حورت من اللفظ الفارسي القديم ماغوش (magush)، ولقد ظهرت هذه الكلمة بكثرة في كتابات الإغريق والرومان،

¹⁶ - Elspeth R.M. Dusingberre, op.cit, p 247.

¹⁷ - Josef Wieshöfer, op.cit, pp 100,101.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

والتي استعملت للدلالة على اسم كهنة الملك، لتتكون منها كلمة الساحر (The Magician) في وقتنا هذا¹⁸، واعتبر الماغوس كاهنا وموظفا رسميا للإمبراطورية، والماغوس نسبة إلى القبيلة التي ذكرها هيرودوت من بين ستة قبائل¹⁹.

ومن المهارات التي يتميز بها الكهنة، أنهم كانوا على دراية بالطب والسحر، إذن هم أطباء وكان قورش يعتمد عليهم ونصبتهم كمستشارين طبيين، فوظيفتهم كانت الحصول على كل ما يلزم من أدوات طبية، وعلاجات سواء سائلة أو غيرها من العلاجات، إذن كانوا يمارسون مهنة الطب بالإضافة إلى مهامهم الدينية، وأشير إلى وظيفتهم هذه أثناء حملة قورش على إحدى المناطق، أين انزعج من عدم أخذ جنوده الرعاية اللازمة، لذا قام بأخذ الكهنة معه والذين بدورهم يحملون العلاج وهو عبارة عن أعشاب للرعاية بالجنود في حالة المرض، ولا شك أن هذه الأعشاب والأدوية كانت نباتات طبية، وتلك هي النباتات التي تحدث عنها سترابون وذكر أن الأولاد عليهم تعلم جمعها وبالضرورة معرفة أين ولماذا تستعمل، كما علم الكهنة الأولاد عدم التبول والبصق في الأنهار أو عناصر الماء وهذا تجنباً لتلوثها، ولقد اعتمد قورش في المجال الطبي على المجوس بصفة كبيرة لمعرفتهم بأسرار الطب والأحجار التي تعالج الصرع، وهذا ما جاء في النصوص القديمة، وما جاء في كتاب نبيهم زارادشت عن الطبيعة، وعن معرفته الشخصية، وهي التعاليم التي دأب المجوس على نشرها وتعليمها للمجتمع الفارسي، وتذكر المصادر أن المجوس كانوا مدرسين للفيلسوف اليوناني ديموكريتوس الذي تتلمذ على يدهم، حيث ذكر أنه كانت هناك نصوص تحوي وصفات دوائية كان يصنعها الكهنة، ومرافقتهم للملك

¹⁸- Matt Watter, **Ancient Persia : A consise History of the Achaemenid Empire 550-330 BCE**, Cambridge University Press, USA, 2014, p 154.

¹⁹- Herodotus, B1.101.

طاهري خديجة

ومهامهم الأخرى غير الدينية، تثبت مدى قوة مركزهم في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية²⁰.

لقد كان للمجوس عدة مهام، هنا يوجد تشابه بينهم وبين الآشوريين في تقاليدهم، فلدينا انطباع بأن الكاهن أو رجل الدين تحمل مسؤولية المعرفة والممارسات وتميز بالهيبة والوقار كما عند الآشوريين (اختصت مقاطعة للحكماء والأدباء بما يسمى بالعلماء الآشوريين)، ولديه عدة مهام أو وظائف من بينها: خطاطون وناسخون، منجمون، طاردين للأرواح، أطباء ومغنين للترانيم الإلهية²¹. باعتبار الكاهن معلما، نستنتج أن المعبد من الأماكن التي يدرس فيها الطلبة، كان للمعبد أهمية عند الفرس الإخمينيين، وإن لم يكن في عمرانه يشبه معابد الحضارات الأخرى، فقد كان ذو بناء بسيط

لقد اعتنى الملوك الإخمينيون بالمقدسات الدينية، وبنوا معابد وأحيوا معتقدات كانت غائبة أيام حكمهم كما أعطوا للكهنة حق التصرف في المؤسسة الكهنوتية، حيث أرسى الحكام المذهب الزرادشتي والديانة المازدية، واعتبروا دعاة ومدعين لديانتهم المحلية، بإقناع المجتمع بالإيديولوجية الملكية والقوة الاقتصادية و المؤسسة الدينية المتمثلة في المنشئات المقدسة، وقد ادعى الحكام بأنهم مدافعون عن العدل والقانون، وقد قامت الإمبراطورية الإخمينية باستغلال الشعب باسم الدين الذي ينادي بالعدل والقانون والمدافع عن حقوقه، بفرض الضرائب، وذلك باستعمال الجملة التي نجدها تتكرر في كل بلاغ من بلاغات الملك و مراسيمه وهي عبارة (الملك باسم الإله اهورا مازدا)، إرساء للعدل والموازنة بين القوي والضعيف، كل واحد في كفة تختلف عن الأخرى وذلك

²⁰ - Pierre Briant, **From Cyrus to Alexander : A History of the Persian Empire**, translated by Peter T. Daniels, Eisenbrauns, USA, 2002, pp 266, 267.

²¹ - Pierre Briant, op.cit, p 268.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

لمعاقبة أعداء العدل، وبالتالي إعادة ربط اسم الإله مجددا بالمنظومة السياسية والاقتصادية للحفاظ على السلام السياسي والاقتصادي²².

5- المرأة والتعليم عند الفرس الأخمينيين:

بشكل عام، كانت النساء الأرستقراطيات متعلّقات بشكل خاص، حيث يذكر كوينتوس كورتيوس أن النساء الحاكمات أو الفتيات المنتميات للعائلة الملكية، هنا ذكرن على أنهن كن في مجموعة من بين الأطفال الذين رافقوا موكب داريوس الأول (هنا المؤرخ يخص فئة البنات من العائلة الملكية)، علاوة على ذلك يعطينا اكتسياس مثالا عن روكسانا شقيقة أرتكسيركسيس الثاني، حيث يصفها بأنها جميلة جدا كما وذات ومهارة عالية في الرمي بالرمح والسهم، اعتبر هذا بيانا فريدا من نوعه على أن المرأة في العهد الفارسي القديم، كانت تتلقى تدريبا عسكريا هي الأخرى مثلها مثل الذكور، حيث درسوا فنون القتال التقليدية، وهذا ما نلاحظه في مرافقتهم لموكب داريوس الأول حيث كن على صهوة الجواد مزينين بالأسلحة، هنا نرى أن الفرس قد أعطوا للمرأة قيمتها ولم تشكل أي وصمة عار للفرس بسبب جنسها، ولم تحصر حياتها في صناعة الصوف، بالإضافة إلى أن المرأة المحاربة قد لعبت دورا في التقاليد الشعبية الإيرانية القديمة، وهنا نستنتج أن الفتيات الأرستقراطيات لم تكن مستعدات أو بالأحرى لم تتوقف حياتهن على البقاء في البلاط الملكي كحريم للقصر إن صح التعبير (فهذا التعبير يطلق على محظيات الملك فقط باستثناء باقي النساء) على الرغم من أنه كانت لديهن أجنحة وغرف خاصة بهن ومنازل أزواجهن بالطبع، بالرغم من عدم وجود صورة تصويرية للحياة اليومية للنساء في العهد الفارسي الأخميني، لم يكن مفاجئا إذ نجد لمحة عن حياتهن من خلال المصادر الكلاسيكية القديمة، كذلك توجد معلومات عن

²²- Anselm C. Hagedorn, Reinhard G. Kratz, Law and Religion in the Eastern Mediterranean: From Antiquity to Early Islam, Oxford University Press, UK 2013, pp 53-43.

طاهري خديجة

تصدر النساء الحياة الإدارية، إذ توجد العديد من الأختام التي وجدت في العاصمة بيرسيبوليس تنسب إلى الأميرة أرداباما، بعضها متصلة بختم خصص للملك، واحدة منها تصور عملية للصيد قام بها الملك، وأخرى استعملها موظفين ذوي علاقة بها يأترون بأمرها حيث تصور عدة نساب، كانت هي من بينهن، لكن من الواضح أن تم نسخ هذا المشهد على إصرار الإحتفالات الرسمية للملك والتي عادة ما تكون النساء مرافقات لهذا النوع من الموكب، حيث وجب ذلك على الأشخاص ذوا المكانة العالية مثل الأميرات والمحظيات.²³

6- أهمية التعليم للفرس الإخمينيين:

وفي العديد من المناسبات يؤكد اكسينوفون على أهمية التعليم داخل الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، كما نلاحظه في عد مرات، كانت المشاركة في التعليم مفتوحة لجميع الفرس، إذ يذكر أن نحو 100 و 20 ألف رجل من الفرس غير ممنوعين بموجب القانون من شغل المناصب أو أن يحضوا بالتشريفات، فعلى العكس من ذلك فكل فارسي يمكن أن يرسل أولاده إلى المدارس العامة التي تدرس القانون وتختص بالعدل، وكحقيقة أنه لا يستطيع أحد ليس لديه عمل أن يرسل أولاده للمدرسة، أولئك من حرموا من شرف الصدارة²⁴، وفي الواقع ومع ذلك فإن الوحيد القادرين على إرسال أبنائهم للمدارس هم من المرتبة العليا، على عكس الفلاحين الذين يكدون في العمل من أجل توفير لقمة العيش، وبعبارة أخرى فقط الأسر الأرستقراطية يمكن أن ترسل أولادها، حيث يذكر بنفسه أن كل أولاد النبلاء يتعلمون في البلاط الملكي، ولا تزال العادة أن يتعلم الأولاد في البلاط، وحتى أولاد حكام الساترايات عليهم إرسال أولادهم إلى القصر الملكي لتلقي تعليمهم، ومن الواضح أن من تهرب من التعليم في البلاط الملكي لا شك أنهم وجدوا أنفسهم محرومين من أي فرصة للصعود إلى

²³- Pierre Briant, op.cit, p 285.

²⁴- Xenophon, Cyropaedia, 1.2.15.

التربية والتعليم في الحضارة الفارسية القديمة: الإمبراطورية الأخمينية

المناصب أو الحصول على مرتبة الشرف، وكذا الأمر سيان بالنسبة لأولئك الذي لم يستطيعوا إكمال الدورات التعليمية، كان هذا نظاما مهما ورسميا للتعليم في عهد الفرس الإخمينيين، وكان هذا نتاج تنصيب المعلمين الأكفاء على رأس هؤلاء الطلبة²⁵.

لا توجد أي معلومات حول التعليم في الجهة الشرقية من الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، لكن هناك أدلة تأتينا من مصر وبابل حيث استمرت النظم التعليمية التقليدية حتى بعد أن ساد الحكم الفارسي الإخميني تلك المناطق، ففي كلا البلدين اقتصر التعليم الرسمي على الأولاد، إذ كان تعلم الكتابة والقراءة واسع الإنتشار بين السكان غير الإيرانيين، حيث كان الكثير ممن يعرفون الكتابة ينحدرون من الطبقة البسيطة، من بينهم أبناء الرعاة والصيادين والنساجين... وغيرهم، هذا وقد نجت العديد من النصوص التعليمية من بلاد الرافدين لهذه الفترة وهي تشمل القواميس السومرية- البابلية، وألواح علمها علامات مسمارية، ومجموعات من الأمثلة والتمارين النحوية، كان معدل الإمام بالقراءة والكتابة مرتفعا بين العسكريين الإخمينيين في جزيرة ألفانتين في مصر، فعادة ما يوقع شهود العقود بأسمائهم باللغة الآرامية، كما تذكر النقوش أن داريوس الأول قد أمر بترميم كلية الطب بسايس في مصر وهذا دليل على أن الفرس الإخمينيون كانوا يهتمون بالطب، مع ذلك يبدو أن التعليم بقي نشطا بين فئة النبلاء، إذ لا يوجد ما يدل على تواجد الأولاد الذين يدرسون في هذه الكلية من الفئة العامة¹.

الخاتمة:

لقد كانت الإمبراطورية الأخمينية ولا زالت من بين أشهر الإمبراطوريات في التاريخ القديم، حيث لعبت دورا تاريخيا مهما، سواء من الناحية السياسية، العسكرية، الإقتصادية، فبالرغم من بداياتها كتجمع قبلي، إلا أنها استطاعت أن

²⁵ - Pierre Briant, op.cit, p 328.

طاهري خديجة

تتوسع بفضل المؤسس التاريخي قورش الثاني، الذي أرسى دعائم واحدة من أكبر الإمبراطوريات في العالم القديم، وكان نظامها الإداري مدعاة للإحتذاء به في القديم وحتى حاضرننا هذا، فكان هذا النظام محكما على رأسه إداريون وولاة أكفاء سواء عسكريا أو فكريا، وهو ما حاولنا أن نجابو عليه في هذا البحث حول التربية والتعليم عهد الإمبراطورية الإخمينية، فمن الملك وحتى آخر موظف داخل البلاط أو خارجه كل منهم قد تلقى تعليما جيدا لتسيير هذه الإمبراطورية زهاء المائتين عام، نجد أن الفرس أعطوا كل الحق للتربية والتعليم لما لها من أهمية في إنشاء رجال ليساهموا في استمرارية الإمبراطورية، بالرغم من أن التعليم كان مقتصرًا إلى حد ما على الطبقة النبيلة، وإن وجدت بعض العينات من الطبقة العامة وهذا إن كان ينحدر من عائلة تستطيع أن تعينه في مداخيله للتعليم، كما كان الإنضباط والتربية الخلقية هم لبنة بناء الفرد الصالح، وكان التعليم العسكري أساس التعليم الأولي، ليأتي بعده التعليم الفكري، بالرغم من تواجد عدة لغات أجنبية عن اللغة الفارسية القديمة، إلا أنها كانت اللغة الرسمية للدولة تلمها اللغة الآرامية، كما كان الدين من أساسيات التعليم أيضا إذ أن المعلمين ينحدرون من طبقة الكهنة، الذين حازوا على اهتمام الملك، كما كانوا أكفاء لما لهم من مهام غير المهام الدينية على غرار الإدارة، الطب، التنجيم.

¹- Muhammad A. Dandamayev, op. cit, p 179.